الكتاب المقدّس والنقد الكتابيّ الحديث

١- فرادة الكتاب المقدّس وأهمّيّته

«كتاب لا شبيه له»

يختلف الكتاب المقدّس عن سائر الكتب اختلافًا جذريًّا سواء بطابعه الإلهيّ أو الأدبيّ. فهو لا يهدف إلى رسم صورة بطل، أو أسطورة، بل إلى كشف سرّ التدبير الإلهيّ ومحبّة اللّه للبشر بابنه يسوع المسيح على الصليب.

في الماضي، تحدّث العبرانيّون عن الـ«بِسُورة»، أي البشارة، أو بشرى اللّه بخلاص الشعب. وقد أدرك كلّ من حمل هذه البشارة، وعاش عليها، مغزى نبوءة إشعياء النبيّ بشأن المخبر بالسلام، المبشّر بالخير، المخبر بالخلاص (٥٢: ٧). هذا الخلاص تحقّق في شخص المسيح يسوع: «روح السيّد الربّ عليّ لأنّه مسحني لأبشّر المساكين» (إشعياء ٦١: ١).

هذه البشارة خبرها الرسل، بعد العنصرة بخاصّة، حدثًا قياميًّا تحقّقت فيه كلّ نبوءات العهد القديم، فكانت أجمل خبر وأسرّ بشرى، منه خرجت كلمة «إنجيل» لتعني الخبر السارّ.

وبهذا المعنى، من دون سواه، اختلف الكتاب المقدّس عن سائر الكتب من حيث إنّه بشّر بالإله المتجسّد والعبد المتألّم والمصلوب والمخلّص الفادي والإله الذي تأنّس ليؤلّه الإنسان، وهو الحقّ والحياة والقيامة، الذي به ينظر الإنسان النور ويحظى بالحياة الأبديّة.

فالكتاب يعبّر عن إيماننا باللّه وقبول ملكوته فينا.

وإذا كانت الشعوب في أيّام القدم بحاجة إلى مخلّص، وبدأت بناموس وطلبت حكمة إلهيّة وسمعت نبوءات بلسان أنبيائها، فكلّ ذلك لكي تتهيّأ لمجيء المخلّص، مشتهى الأمم، وتحيا معه في الروح القدس إلى مدى الدهور. كلا، لم يأت الكتاب إلى نهاية بعد، لأنّ الآب ما زال يعمل، بابنه، في الروح القدس. وبقراءتنا الكتاب نكتشف أنّ اللّه ما زال يكلّمنا كما كلّم أنبياءه قديمًا، وهو يدعونا إلى التوبة كما دعا شعبه آنذاك.

ليس الكتاب المقدّس، إذًا، كتابًا بالمعنى الجامد أو الميت للكلمة يؤتى إليه من منظار الأدب وأصوله النقديّة، بل هو كتاب حيّ، حضور إلهيّ، حياة مطّردة في المسيح يسوع بالروح القدس. الكتاب المقدّس مدوّنات، بلغة الناس، وضعها قوم بروح

اللّه ولا يفسّرها، ككلمة اللّه، سوى أناس ملأهم الروح عينه. «بنورك نعاين النور». اللّه يظهر نفسه لنا، ولا يتلقّفه إلاّ من سعى إليه. صحيح أنّ الكتاب المقدّس موحى به من اللّه، إلاّ أنّ الوحي لا يلغي فرادة كلّ واحد من الذين كتبوه، سواء من الناحية اللغويّة أو من الناحية اللاهوتيّة. فكلّ كاتب، في هذا السياق، إنّما نطق بالأقوال الإلهيّة، لأنّ اللّه حرّك نفسه أوّلاً. اللّه لا يلغي الإنسان ولا الإنسان من دون اللّه. العلاقة بينهما علاقة نموذجيّة بين أب وابن يفهم الثاني ما يريد أن يقوله الأوّل. قراءتنا الكتاب المقدّس من هذه الزاوية، يجب ألاّ تهدف إلاّ إلى غاية واحدة: «أن نصبح هيكل اللّه».

والأسلوب الكتابيّ فيه ليس إلاّ إناء لتدبير خلاصيّ مع التشديد على أنّ القلب والقالب يشكّلان حقيقة واحدة متلاصقة متلاحمة للمضمون الإلهيّ ومجريات الأحداث فيه. والصلاة الحارّة هي، وحدها، الكفيلة بأن توقظ، في الذكاء البشريّ، قوى لا طاقة للتدريب الفكريّ مهما ارتقى على إنشائها. فقط بالروح القدس يصبح الإنسان إناء للّه، وينقل وحي اللّه بكلامه هو. انطلاقًا من هذه المسلّمة، يمكننا أن نقول، بحقّ، إنّ الكتاب المقدّس هو كلام اللّه.

٢- التفسير والنقد الكتابيّ الحديث:

لم يفت الكنيسة الأولى أمر الاهتمام بالدراسة والتفسير الكتابيّ المقدّس. حتّى الجماعات اليهوديّة لجأت أيضًا، إلى التفسير الكتابيّ، في أكثر من محطّة وفي غير زمن، التماسًا لفهم الأسفار والتوراة.

من ذلك ما يطالعنا به سفر نحميا بشأن تفسير اللاويّين وغيرهم في محاولة لإفهام الشعب ما يختصّ بالشريعة والناموس. «وقرأوا في السفر في شريعة اللّه ببيان وفسّروا المعنى وأفهموهم القراءة». وكان التفسير الشفاهيّ بسيطًا، ولكن ضروريًّا، إذا اعتمد المحافظة الكلّيّة على روحيّة النصوص معيدًا صياغتها بكلمات يفهمها الشعب سعيًا إلى إدراك حقيقة الكلمة. هذا المعنى التفسيريّ توسّع، وأصبحت الشروحات المتعدّدة أكثر تداولاً.

ترجمات آراميّة وسبعينيّة إضافة إلى تفاسير جماعة قمران وسواها مرورًا بالمدراش والتلمود الفلسطينيّ والبابليّ، والمِشنا والجمارا، وكذا تفاسير لأمثال الفيلسوف اليهوديّ فيلون الإسكندريّ، بجوانبها الإيجابيّة والسلبيّة.

من هنا نلاحظ أنّ تاريخ التفسير الكتابيّ قديم جدًّا، وتعود أصوله إلى ما قبل المسيحيّة بكثير، سواء عند اليهود أو بين الأمم.

أمّا العهد الجديد فتشكّل الأناجيل فيه المصدر الوحيد لحياة الربّ يسوع وتعليمه، علمًا بأنّه يمكن أن نجد عند المؤرّخ اليهوديّ يوسيفوس (٣٧-١٠٠م) وصفًا لشخص اسمه يسوع حكم عليه بيلاطس بالموت صلبًا، كما تحدّث الأدب اليهوديّ عن عجائب اجترحها شخص اسمه يسوع، واعتبرها سحرًا.

ويستفيض التلمود في الكلام، بشكل واضح، على

محاكمة يسوع عشيّة الفصح اليهوديّ.

هذا إضافة إلى مصادر كتاسيتوس الرومانيّ (٥٥-١١٧م) حول موت يسوع واضطهاد المسيحيّين. ولكن تبقى الأناجيل المصدر الوحيد الذي تعتمده الكنيسة.

هنا، بالذات، تكمن المشكلة مع نقّاد الكتاب المقدّس، إذ أُخضع الكتاب لحجم من البحث والتدقيق لم يطل أيّ كتاب آخر، لا سيّما بين القرنين التاسع عشر (مع بروز المدارس النقديّة) والعشرين، وصولاً إلى يومنا هذا.

تجدر الإشارة إلى أنّه ظهرت في كنيسة المسيح، منذ القرون الثلاثة الأولى، مدارس عديدة، وأحيانًا متناقضة، تفسّر الإنجيل وتعلّل بمباحثات الكلام ومماحكاته. أمّا الكلمة الفصل فكانت، دائمًا، للإيمان الرسوليّ الجامع الذي كان يغربل، ويوضح، وينقّي كلّ طرح قد يسيء إلى ما تسلّمته الكنيسة من الرسل بشأن صحّة الأناجيل ورواياتها.

كلّ ذلك مع تأكيد الكنيسة على المرحلة التاريخيّة الأساسيّة، مرحلة حياة الربّ يسوع مع تلاميذه، والمرحلة التبشيريّة، مرحلة ما بعد القيامة والعنصرة، مرحلة التبشير والتعليم الشفهيّ الذي قام به الرسل أجمعون مع الرسول بولس، والمرحلة الكتابيّة، مرحلة التدوين والكتابة.

يضاف إلى ذلك ما تناقلته الكنيسة شفهيًّا وتعليميًّا وتقليديًّا من حياة آبائها وفي إطار الليتورجيا المقدّسة، ممّا يشكّل، مجتمعًا، ما يعرف بـ«التسليم الشريف».

في مقابل ذلك، عرف النقد الكتابيّ الحديث (القرن التاسع عشر)، هو أيضًا، وسائل عديدة ومدارس مختلفة تناولت الكتاب المقدّس من جوانب شتّى، غير أنّها لم تصل إلى نتائج واحدة ولا حتّى متشابهة، بل متناقضة.

أنّى يكن من أمر فإنّ النقّاد أجمعوا على ضرورة السعي، في النقد الكتابيّ بعامّة إلى:

١- إدراك ما يحاول كاتب هذا أو ذاك من الأسفار الكتابيّة أن يقول. هنا خلصوا إلى أنّه من الضروريّ إعادة تركيب النصّ قبل محاولة استخراج المعنى ودراسة المقطع الكتابيّ في إطار ما سبقه وما يليه.

٢- محاولة تحديد المصدر أو المصادر التي اعتمدها الكاتب.

٣- دراسة الإطار التقليديّ الذي سبق كتابة النصّ. ويؤدّي ذلك إلى إعادة وضع النصّ في إطار الحياة العمليّة للكنيسة في المحيط الذي نشأ فيه وخرج منه. بكلام آخر، وباختصار يحاول الناقد معرفة ما إذا كان الحدث، أو الآية (العجيبة)، أو المثل، متعلّقًا بحياة الجماعة، أو يعود للمسيح نفسه، لأنّ هناك ما يسمّى بالنقد النصّيّ، ونقد المصادر باعتبار أنّ الكنيسة لا تملك النصوص الأصليّة للكتاب المقدّس. ويفترض النقد الكتابيّ دائمًا وجود أخطاء لحقت بالنصوص من جرّاء عمليّات النسخ المتلاحقة.

لذا يحاول، بنقده، تقديم ما هو أقرب إلى النصّ

الأصليّ. هذا مع العلم أنّ الاكتشافات الحديثة للمخطوطات تشير إلى نصوص إنجيليّة تعود إلى زمن حياة الإنجيليّين أنفسهم[1].

إلى ذلك يضاف أنّ عمليّة النقد الكتابيّ انطبعت بنهج عُرف بـ«تاريخ الأشكال». هذا النهج، الألمانيّ المصدر، توجّه مباشرة إلى معالجة التقليد الشفهيّ للنصوص الكتابيّة، وذلك بهدف الكشف عن التقاليد في شأن يسوع وشخصه وكذلك إظهار حاجة الكنيسة، كما يظنّ، إلى تضخيم حجم هذه التقاليد لهدفين رئيسين:

١- إعطاء قوّة وزخم لشخص اسمه يسوع.

٢- ربط هذا الشخص، أي يسوع، بنبوءات العهد القديم (ليتمّ ما قيل). مثال ذلك أنّ القيامة القائمة في أذهان الرسل، وكذلك الظهور الإلهيّ والتجلّي والصعود، إضافة إلى عجائب يسوع وأشفيته وطرده للشياطين، هي من تأليف الجماعة المسيحيّة الأولى، وحتّى من الإنجيليّ نفسه. كما حدث ذهاب يسوع إلى مصر، يعتبر مؤيّدو هذا النوع من النقد أنّه من تأليف الإنجيليّ متّى ليتمّ ما قيل في العهد القديم. هذا طبعًا يجعل الظهور الملائكيّ ليوسف مبطَلاً. والقول عينه يقال عن العجائب المرتبطة بآباء الكنيسة وقدّيسيها.

إلى ذلك اهتمّت هذه الفئة من الباحثين بالبحث عن أجزاء صغيرة من النصوص معزولة ضمن النصوص النهائيّة للإنجيل، ويعتقدون أنّها شكّلت النواة الأساسيّة لكتابة الأناجيل، فيما الباقي مضاف وفق الحاجة. هذا يجعل النصوص خليطًا مركّبًا لا نصوصًا أوّليّة صافية، ويصبح الكتاب المقدّس في النهاية كتابًا يجمع بين التأليف الأدبيّ والنصّ الروائيّ.

الكتاب المقدّس بين النقد الحديث والتفسير الآبائيّ:

في بادئ الأمر، أودّ تسليط الضوء على عبارة كثيرًا ما يردّدها نقّاد الكتاب المقدّس: «نحن لا ندرس الآباء، نحن ندرس الكتاب». كأنّ الكتاب المقدّس بات جزءًا منفصلاً عن الكنيسة والحياة الروحيّة فيها! عجيب هذا الأمر!

والأمر الأكثر إثارة للعجب هو تفسير الناقدين للأحداث والأسفار، والذي يرتكز على قناعات فلسفيّة نقديّة هي، في ذاتها، مثار تساؤل، واضعين كلّ تفسيرات الآباء جانبًا وجاعلين أنفسهم فوق الآباء وفوق التسليم الذي لم يعد أصلاً موجودًا بالنسبة إليهم، وموجّهين الأنظار إلى أبحاث كتابيّة عشوائيّة تخرج من هنا وهناك، مدغدغين بها المغويّين بالشكل العلميّ من دون الحياة الروحيّة. هذا مع الأخذ في الاعتبار أنّه لا يمرّ عشر سنوات على نظريّة نقديّة معيّنة إلاّ وتبرز نظريّة نقديّة أخرى تناقضها. كأنّ الكنيسة، في آبائها وتقليدها المسلّم من الربّ نفسه «... علّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متّى ٢٨: ٢٠)، كان عليها أن تنتظر ألفي عام لتأتي المدارس النقديّة فتفسّر لها ما التبس عليها هي في جهاد قدّيسيها!

١- راجع الأب بيتر مدروس ١٦- سلسلة الإيمان المسيحيّ ومخطوطات الكتاب المقدّس بلغاته الأصليّة الدكتور الشمّاس إميل إسحاق.

القدّيس يوحنّا الذهبي الفم، وإن اعتبره أصحاب هذا التيّار أوّل ناقد للكتاب المقدّس، لم يسمح لنفسه يومًا أن يتعالى فوق التسليم، أو يتناسى الآباء، أو يقلّل من شأنهم، أو يأتي بما هو مغاير لروح الكنيسة بحجّة التفسير الأكاديميّ المنهجيّ. كما لم يفصل يومًا تفسيره المنهجيّ عن تفسيره العلميّ، إذ كان دائمًا يعظ بما يؤمن به، ويسلك فيه، ويعتبره حقيقة ثابتة. لم يكن ثمّة مجال لديه لأيّ فصل أو ازدواجيّة.

فالروح الواحد، الذي استبان القدّيس، بجهاده، هيكلاً له، هو الذي كان يفسّر. ولا يمكن لأيّ باحث أصيل أن يلاحظ أيّ شبه قاعديّ بين الذهبيّ الفم والنقّاد المحدثين. ما يقوله، هو في تفسيره النبوءات والعجائب والأشفية وطرد الشياطين ووجود الملائكة وقصّة الخلق والسقوط وحدث القيامة والصعود والتبشير الملائكيّ ومجيء المجوس وبتوليّة مريم وجهادها، وحتّى في قدّيسيّ العهد القديم ودورهم،... وفي غير هذا، يضع تفسير هؤلاء النقّاد في خانة الانحراف!

فما أفاضه الروح القدس بلسان القدّيس الذهبيّ الفم، في كلّ من المواضيع التي يستشهد بها نقّاد الكتاب المحدثون، يضع تفاسيرهم النقديّة في تضادّ رهيب مع الروح الجامع في الكنيسة الرسوليّة بحيث يصبح التباعد كالظلام من النور. وضعهم، والحال هذه، كوضع اليهود المتعنّتين الذين إذا استشهدوا بالعهد القديم ليفتخروا بأنفسهم وبتاريخهم وجدوه فاضحًا لهم ومدينًا بالأكثر.

فالقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم عاش بحسب الكتاب المقدّس وفسّره من أجل إبراز التدبير الإلهيّ وللسلوك في هذا التدبير، في الكنيسة، بالصلاة والصوم وإنكار الذات وإظهار المسيح المتألّم الذي تحقّقت فيه كلّ النبوءات والمكمّل في قدّيسيه وأبراره.

فأين نحن اليوم من ذلك كلّه؟ وكيف نتعاطى مع الكتاب المقدّس بالعمق؟ ومن أيّة زاوية نأتي إليه لنتفحّص صفحاته؟ أين هي مكانة الآباء في النقد الكتابيّ؟ ولأيّ درجة نبتغي التواضع للخدمة وعدم إظهار أنفسنا كمراجع وبحّاثة؟

وأستشهد هنا بقول ورد على لسان سيادة المطران جورج (خضر) في سيامته أحد الكهنة: «الأب لا يجلب الناس إليه بل إلى المسيح». وهذا تمامًا ما قصده بولس الرسول بقوله: «أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل» فبولس الرسول الذي تلقّى البشارة بعبور فصحيّ من الموت إلى الحياة اعتبر نفسه «سقطًا»، وكان دائمًا يخشى أن يهلك هو بعد أن بشّر الأمم.

كما ينتفض بغضب شديد في وجه كلّ تعليم خاطئ نابع من مقاييس العالم «لأنّ حكمة هذا العالم جهالة عند الربّ...» (١كورنثوس ٣: ١٩).

فكلّ هاجسه كان أن يحفظ الإيمان المستقيم، ويودعه آخرين بأمانة بمنأى عن كلّ مماحكة وانحراف، لأنه مسلّم من الربّ نفسه (١كورنثوس

١٥: ٣).

استطرادًا، تأتي القرون الأولى، بآبائها، بشهادات مماثلة. فقد حذّر القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، بشدّة، من الذين يمزجون ضلالهم بالتعليم المسيحيّ على مثال الذين يمزجون السمّ والخمرة والعسل.

فيما أكّد القدّيس كليمنضوس الروميّ أنّ الرسل استمدّوا معرفتهم من قيامة السيّد، وتأكّدوا من كلام الربّ بالروح القدس. وهذا ما تسلّمناه، وهذا ما نحيا فيه.

فالهدف النهائيّ للتفسير خلاصيّ لا علميّ، والمفسّر هو لاهوتيّ لا دارس وناقد. حياة التقوى عند الآباء كانت هي المفتاح الأساس لولوج سرّ اللّه. وتفسير كلمة لاهوتيّ المشتقّة من θεολογια هو كلام حول اللّه، كلام اللّه. فمن يتجرّأ أن ينسب إلى نفسه صفة اللاهوتيّ لمجرّد حيازته إجازة من معهد أو أكثر؟ ما النقد إذًا وما غايته؟

لقد أكّد القدّيس غريغوريوس النزينزيّ أنّ ليس للكلّ أن يتكلّموا على اللّه ولا الأمر سهلاً بالنسبة إلى الذين أتوا من التراب... بل فقط للذين امتحنوا ووصلوا إلى الرؤية بعد أن طهّروا النفس والجسد.

وهذا، طبعًا، لا يتمّ بالدراسة والمعرفة، بل بالأحرى بولادة جديدة من الماء والروح (يوحنّا ٣: ٤). وإذا كان التلاميذ الذين عاشوا مع الربّ يسوع لم يفهموا إلاّ بعد العنصرة، أي عند اجتماعهم بالربّ بالروح القدس. وبولس الرسول مبشّر الأمم لم يحيَ إلاّ بعد أن ولد ثانية وأزيل البرقع عن عينيه. كذلك الآباء لم يفسّروا الكتاب وآياته إلاّ بعد أن وُجدوا هيكلاً للروح القدس بجهاد روحيّ مستمرّ وإنكار كلّيّ للذات، إفراغ κενος. أيمكننا نحن بالمقابل اليوم أن ندّعي التفسير الصائب للكتاب لمجرّد خوض نيّة الدراسة والنقد؟! أستغفر اللّه.

فالكنيسة تؤمن بشيء ثابت لا يتغيّر: «بالروح القدس كلّ نفس تحيا وتتنقّى». كلمة الفصل الأخيرة هي دائمًا للإيمان الرسوليّ الجامع، والحارس والمغربل والمنقّي. نعم، «بالروح القدس تفيض سواقي النعمة». النعمة الإلهيّة هي حافظة هذا الإيمان.

من هنا لا يمكن للنقد الكتابيّ أن يكون بنّاءً وإيجابيًّا إلاّ إذا كان مزدوجًا بهذه النعمة ومتسلّحًا بالروح.

غير أنّ هذا كلّه لا يضع مفهوم العقل والإدراك البشريّ جانبًا ولا يهمّش البحث العلميّ أو المجهود الشخصيّ. فإنّ الآباء لم يكونوا يومًا دعاة جهل أو رافضين المعرفة. فثمّة العديد من الآباء القدّيسين كانوا، إلى جانب بساطتهم وتواضعهم، حائزين على قدر وافر من العلم يفوق، أحيانًا، علم من يعتبر نفسه اليوم ناقدًا ومفسّرًا. ليس هناك أب واحد يدعو إلى الابتعاد عن العلم والدراسة كما ليتعاطى الكتاب المقدّس بروح ببغائيّة. لا تنطبق هذه الصفة على المسيحيّ المؤمن بحال، بل هو يفتّش

ويبحث، بجدّ، عن الحقيقة والتدبير الإلهيّ، فلكلّ مؤمن ملتزم اكتشافه الخاصّ بالروح القدس.

كذلك ممّا لا شكّ فيه، أنّ تعاطي الكتاب المقدّس يوجب علينا الاطّلاع، بجدّيّة وعمق، على جوانب دراسيّة عديدة، تاريخيّة ولغويّة وأدبيّة وجغرافيّة... ولكن من الخطأ أن نحدّ فكرنا البشريّ في التمحيص العلميّ وحده، أو البحث النقديّ، ونتغرّب عن الهدف الأساس من قراءة الكتاب متجاهلين حدود العقل البشريّ في معرفة الإلهيّات.

لذا، الكنيسة المستقيمة لا تتصدّى، ولا تمنع من يدرس أو يبحث، على العكس، ولكنّها تعتبر أنّ ما كُتب وما حصل واحد لا يتجزّأ، لأنّ الروح واحد. فإذا سمح ناقدو البعد الفكريّ للأشكال لأنفسهم بتعرية الربّ يسوع من الأحداث الإلهيّة التي تدور حوله (وهناك أمثلة عديدة على ذلك) فكيف، من باب أولى، يتناولون الأعمال التي جرت وتجري على أيدي رسله وقدّيسيه؟!

ألم يقل الربّ من آمن بي يفعل الأشياء التي فعلتها وأكثر؟ أليس سفر «أعمال الرسل» ممتلئًا من العجائب والأشفية التي جرت بأيدي الرسل؟

وكم من قدّيس، في الكنيسة، إلى يومنا هذا، خضعت له سنن قوى هذا العالم وأشدّ الحيوانات شراسة، وقام بأشفية لا تحصى؟

لذلك نقول إنّ فهمنا الكتاب المقدّس يعمق بمقدار ما تنمو علاقتنا باللّه. والكنيسة تقول، بلسان رسولها: «ليس أنّنا نسود إيمانكم، بل نحن مؤازرون لسروركم، لأنّكم بالإيمان تثبتون» (٢كورنثوس ١: ٣٢).

الخطأ، إذًا، ليس في الدراسة والعلم، بل في الانتفاخ والكبرياء. وهذا ما أسقط الإنسان من حضن اللّه إذ أراد أن يجعل نفسه إلهًا.

لا تنحصر المشكلة برأي هذا أو ذاك، أو بمقالة أو بكتاب، بل بنهج، بتيّار فكريّ «ناقد» يسوقه الكثيرون من المولجين بتدريس الكتاب المقدّس في العديد من المعاهد اللاهوتيّة، بما فيها الأرثوذكسيّة، ما بات يشكّل، بالنسبة إليهم، الباب الوحيد لدراسة الكتاب المقدّس وفهمه. الأمر الذي يتضارب، إلى حدّ بعيد، وما تتناوله المواد اللاهوتيّة الأخرى في الليتورجية والآباء والعقيدة... وإنّ قبول الشيء وضدّه يؤدّيان، حتمًا، إلى ازدواجيّة تعطّل التفكير وتؤدّي إلى انفصام في الإيمان.

من هنا أنّه إذا ما وقفت الكنيسة بآبائها صارخة، متألّمة، ومصلّية، في وجه الانحراف والضلال والهذيان والشطط فلأنّها تتكلّم في المسيح كلام الصادقين حفظًا للوديعة المسلّمة مرّة إلى القدّيسين، كلام رسل اللّه أمام اللّه.

صدق، والحال هذه، من قال إنّه «من المتعلّمين يأتي الخراب» وهو يقصد طبعًا المتعلّمين الذين ليست فيهم مخافة اللّه (الأب بايسيوس الأثوسيّ). ❑